العرب
الأربعاء 2021/01/06
السنة 43 العدد 11932

لعبة التوظيف السياسي والعسكري لحراس الدين في سوريا

استهداف القاعدة الروسية يؤثر على المشهد السوري ويخلط أوراق الفاعلين

قلب تنظيم حراس الدين الموالي للقاعدة في سوريا، وهو الدور الذي اضطلع به بعد أن نأت هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقًا) بنفسها علنا عن جماعتها الأم الأساسية، بعض المعادلات من خلال تبنيه هجومًا نوعيًا قبل أيام، استهدف قاعدة روسية في بلدة تل السمن جنوب عين عيسى بريف الرقة الشمالي، وهو هجومه الأول ضد قوات روسية، والأول له خارج إدلب التي لم يتعداها نشاطه العسكري.

هشام النجار
كاتب مصري

القاهرة – تبنى تنظيم حراس الدين الموالي للقاعدة في سوريا مع الساعات الأولى للعام الجديد تفجير سيارة مفخخة في مدخل قاعدة روسية بريف الرقة الشمالي، أعقبه اشتباك خمسة انتحاريين لفترة قصيرة بالأسلحة الرشاشة مع جنود روس قبل أن يُقتلوا جميعًا، وفق ما نشرته حملة "الرقة تُذبح في صمت" مصحوبًا بصور للهجوم على صفحتها في فيسبوك.

> **قسد تريد استغلال استهداف عين عيسى لإقناع روسيا بجدوى مكافحة الإرهاب وثنيها عن تسليم المنطقة لدمشق**

واعتبر الهجوم محاولة من التنظيم لقلب بعض المعادلات، وقوبلت العملية غير المسبوقة التي أعلن في بيان "غزوة العسرة" الذي نشرته مؤسسة شام الرباط ذراعه الإعلامية عن نجاحه في الهجوم، بحفاوة بالغة من أعضاء القاعدة وجرى تداول تفاصيلها من منطلق وصفها بالنصر المؤزر والفتح الجهادي الكبير، وهو ما عكسته الصياغة الحماسية التي صاغ بها التنظيم بيان تبنيه للهجوم.

في المقابل، أبدت أطراف أخرى تشككها في فرضية مقدرة حراس الدين على القيام بعملية بهذا الحجم في منطقة تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية "قسد"، وتنتشر فيها حواجز عسكرية كثيفة، وهي التي لم تشهد من قبل اختراقًا أمنيًا من هذا النوع.

رسائل متناقضة

ما يدفع للنظر إلى الهجوم من منطلق أبعاد ميدانية أوسع بمعزل عن التصور المبدئي الخاص برغبة تنظيم مشتت في أن يثبت وجوده ناقلا نشاطه خارج الطوق الذي حُوصر بداخله في إدلب من قبل غريمه هيئة تحرير الشام، هو تزامنه مع المفاوضات بين تركيا وروسيا في عين عيسى، والتوتر الحاصل بين موسكو وقوات سوريا الديمقراطية في نفس المنطقة.

من غير المنطقي أن يكون اختيار عين عيسى لتنفيذ هجوم بهذا الحجم اجتهادا من تنظيم اختفى معظم قادته ومُني بخسائر كبيرة خلال العام الماضي أثرت على تماسكه وفككت هيكله القيادي.

يمكن فهم توظيف حراس الدين من طرف آخر استغلالا لحاجته إلى الخروج من مأزقه وقوقعته داخل إدلب، بالنظر إلى أن ساحة عين عيسى تتفاعل داخلها ملفات أكبر من القاعدة والجهاديين السنة، وأي تطور ميداني متعلق باستهداف قوات طرف وازن كروسيا يؤشر على رسائل من طرف آخر قوي في المعادلة كما يؤدي إلى تبديل مواقف وسقوط تفاهمات بين اللاعبين الرئيسيين.

وترقى الشكوك التي أبدتها كيانات من المعارضة السورية ومن منافسين للقاعدة داخل الأوساط الجهادية بسوريا إلى مستوى النظر إليها بعين الاعتبار، لأن الهجوم الأول من نوعه من شأنه التأثير على المشهد السوري بأكمله وإعادة خلط أوراقه أمام الفاعلين فيه، في ظل الصراعات والتجاذبات الإقليمية والدولية المحتدمة بمنطقة شرق الفرات.

ورغم انتهاء المعارك فعليًا بمنطقة شرق الفرات، وبالقرب من عين عيسى في نوفمبر 2019 عقب اتفاق روسي – تركي، لم تتوقف الاشتباكات في محيط عملية نبع السلام التي قامت بها أنقرة والجيش الوطني السوري الموالي لها.

ومنذ توقيع الاتفاق الروسي التركي الذي وقعه الرئيسان فلاديمير بوتين ورجب طيب أردوغان، في مدينة سوتشي ورسم حدود وشكل منطقة شرق الفرات، استقرت سيطرة الجيش الوطني السوري على مدينتي تل أبيض بريف الرقة ورأس العين بريف الحسكة، وظلت باقي مناطق شرق الفرات بيد سوريا الديمقراطية (قسد) تحت إشراف روسي.

وبقيت عين عيسى منذ ذلك الحين ساحة رئيسية للتجاذبات والمناوشات بين الطرفين، أي الجيش الوطني وقسد، حيث حرصا على عدم التسليم بما آلت إليه معركة نبع السلام، ويسعى كلاهما عبر القصف والاعتقالات والهجمات المتبادلة إلى أن يقلص أحدهما نفوذ الآخر، ويسيطر على ما يقع تحت يد غريمه ومنافسه من مناطق.

وتصاعدت حدة الاشتباكات بين الجيش الوطني وقسد مطلع ديسمبر الماضي، ما دفع موسكو إلى مطالبة قسد بتسليم عين عيسى ونقل إدارتها وخدماتها العامة إلى قوات النظام وخفض وجودها ونشاطها بالمنطقة، لكن قوات سوريا الديمقراطية عارضت ذلك وترجمت رفضها عمليًا عبر تحصين مواقعها بالبلدة واستدعاء تعزيزات عسكرية من شمال شرق البلاد، مع ازدياد الضغوط الروسية.

منعطف جديد في الأزمة السورية

وتتشبث قسد بعين عيسى كونها خط الدفاع الرئيسي عن مدينة عين العرب بريف حلب، حيث تربطها مع تل أبيض وصولاً إلى الجنوب في منبج، ولأنها تتحكم في شبكة مواصلات إستراتيجية على امتداد شبكة طرق مهمة تربط محافظتيْ حلب والحسكة عبر الطريق الدولي أم 4، علاوة على أنها تتميز بطرق محلية تربطها بتل أبيض على الحدود التركية ومدينة الرقة.

ويصعب على قوات سوريا الديمقراطية التخلي بسهولة عن منطقة كهذه وعن عين عيسى التي تُعد خط دفاعها الأول وتقع تل السمن في جنوبها، فهي تربط بين مناطق شمال شرقي سوريا، وفي حال خسارتها ينقطع التواصل مع عين عرب التي لها رمزية كبيرة لدى قسد التي تكافح لحماية بقايا مشروع إدارتها الذاتية على الحدود التركية السورية.

وعلى ضوء ذلك يمكن تفسير الهجوم بحصول تسهيلات لتنظيم حراس الدين من قبل قوة نافذة ومتحكمة في هذه الساحة، ليتمكن وهو الفصيل المشتت والملاحق من تنفيذ هجوم بهذه الدقة والضخامة ضد القوات الروسية في تل السمن، حيث تنتشر نقاط التفتيش المشتركة للشرطة العسكرية مع قوات النظام.

وتستفيد قسد من وقوع هجوم كهذا لإيصال رسالة مباشرة إلى موسكو، مفادها أن بديلها في عين عيسى هو الإرهاب، وأن تركيا من خلال وكلائها غير قادرة على حفظ الأمن وكبح التنظيمات الإرهابية، لذا فلا بديل عن استمرار نفوذها للحيلولة دون عودة القاعدة وداعش، ما يعني محاولة منها لخلق مصالح مشتركة مع روسيا في ملف مكافحة الإرهاب دون تسليم المنطقة للنظام السوري.

وثمة احتمال معاكس لا يخلو من وجاهة بالنظر إلى تضارب المصالح والأيديولوجيا بين قسد وتنظيم حراس الدين الذي سيفكر أولًا في داعش كأقرب الفصائل إليه بهدف مساندته في استعادة قواه بعد كسر شوكته وانقضاض أبومحمد الجولاني عليه في إدلب.

ويدرك من تبقى من قادة حراس الدين أن وصول نشاطهم إلى منطقة شرق الفرات معناه أن القاعدة عادت فاعلا بقوة في منطقة حيوية تم طرد داعش منها في 2014 وصارت معقلًا لأحد أعتى خصومه، أيْ قسد، حيث تحولت منذ منتصف 2015 إلى شبه عاصمة لإدارتها الذاتية بدعم من التحالف الدولي.

> **التمدد بعمليات نوعية نحو شرق سوريا بمثابة إنجاز ميداني للقاعدة بعد أن كانت محاصرة ومضطهدة من هيئة تحرير الشام**

ويتطلب سعي حراس الدين إلى معاودة تعزيز نشاطه وتوجيه رسائل للأطراف المعنية ولغريمه هيئة تحرير الشام -فما تعرض له لم يؤثر على تماسكه الداخلي وهو قادر على التمدد خارج مناطق نفوذه- تشكيل قوة ضاربة مبنية على ميزته الرئيسية الخاصة بمقاتليه الأجانب وباعتناقه أفكار الجهاد العالمي وهي مشتركات تجمع بينه وبين داعش.

ورغم تبعية حراس الدين للقاعدة، إلا أن التحديات التي يواجهها من مختلف اللاعبين في الساحة السورية جعلته يقوم بعملية إعادة تجميع جهاديي داعش في شمال غرب إدلب بعد طرد تنظيمهم من الموصل والرقة، وتضييق الخناق عليه بقوة عن طريق الغارات الجوية التي شنها التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في شرق سوريا، وهو واقع صادف أن التنظيمين، داعش وحراس الدين، يعانون منه.

ويسعى داعش أيضا لتثبيت نفسه على ساحات القتال والثأر من هزائمه واستعادة ما كان يسيطر عليه من يد قوات سوريا الديمقراطية، يربطه بحراس الدين ليس فحسب مشتركات فكرية وعقدية، بل أيضًا تاريخ من التعاون والتنسيق الميداني، وهو الفصيل الذي آوى أبوبكر البغدادي بمنطقة تابعة له في قرية باريشا على الحدود التركية، قبل أن تنجح القوات الخاصة الأميركية في قتله.

وإذا لم يكن التنسيق جرى بين قسد وحراس الدين لتسهيل تنفيذ عملية تل السمن النوعية، فإن الاحتمال الذي يوازيه في القوة هو اتكاء الفصيلين الجهاديين داعش وحراس الدين على بعضهما البعض، بهدف الخروج من قمقم إدلب والتوسع في عمليات تستقطب الإرهابيين العالميين وتحرج متصدري الجهود المبذولة في ملاحقتهم وتحجيمهم أمام المجتمع الدولي.

بداية من خارج إدلب

يُعد استهداف قاعدة عسكرية لروسيا في عين عيسى نصرًا رمزيًا لحراس الدين، بالنظر إلى أن عملياته السابقة داخل إدلب كانت غالبيتها بالتنسيق مع هيئة تحرير الشام وبتمويل مباشر من الفصيل الجهادي الأول والأقوى في الساحة السورية.

وأكدت شهادات عديدة لقادة بحراس الدين وهيئة تحرير الشام أن التمويل والتسليح اللذين كان يحصل عليهما قادة حراس الدين بإدلب قادمان من هيئة تحرير الشام لتنفيذ عمليات تخدم أهدافها وتُنسب إلى غيرها.

وشن تنظيم حراس الدين بعمليته الأخيرة النوعية في عين عيسى استقلاله الميداني عن هيئة تحرير الشام، وأثبت أنه قادر على القيام بعمليات استنزاف ضمن إستراتيجية حروب النكاية بمناطق خارج إدلب لا يسيطر عليها أبومحمد الجولاني، في سياق عمليات تضر بالهيئة المخولة بالحفاظ على التفاهمات التركية الروسية في الشمال السوري.

التمدد بعمليات نوعية نحو الشرق السوري، هو بمثابة إنجاز ميداني لتنظيم القاعدة في سوريا، بعد أن كان محاصرًا ومضطهدًا من هيئة تحرير الشام، في حين لا تتوقف طائرات الولايات المتحدة المسيرة عن اصطياد قادته.

ويمنح الخروج من إدلب تنظيم حراس الدين فرصة الترويج لنفسه، ككيان متحرر من القيود المكبلة للفصائل الأخرى والتي تنشط وفق الحدود والأطر التي حددتها التفاهمات التركية الروسية.

وإذا كانت هيئة تحرير الشام تسعى لتعميق جذورها المحلية برعاية تركية وتحت مظلة تفاهمات موسكو وأنقرة، فإن تنظيم حراس الدين بإمكانه تجنيد العديد من الجهاديين الرافضين لتلك التفاهمات والداعين للإفلات من فخ إدلب عبر توسيع نشاطاتهم بساحات أخرى.

طالبان تشعر بالقوة وبتردد الأميركيين ولا تريد تضييع فرصتها

إسلام آباد - عندما بدأت الجولة الأولى من المفاوضات بين الحكومة الأفغانية وحركة طالبان في سبتمبر الماضي، وهي المرة الأولى، التي يلتقي فيها الطرفان المتحاربان حول طاولة مفاوضات تم تحذيرهما من إضاعة الفرصة النادرة لتحقيق سلام دائم وأن عدم استثمارها يعني استمرار الحرب المستمرة لأكثر من أربعة عقود، والمزيد من الموت والدمار.

مايكل كوجلمان

> **نلحظ الكثير من المفسدين الذين قد يعرقلون المحادثات**

ومع استئناف المفاوضات الثلاثاء لإيجاد نهاية لعقود من الصراع المستمر تتلاشى الآمال ويتنامى الإحباط والخوف من تصاعد العنف في جميع أنحاء أفغانستان، في ظل إلقاء جانبي الصراع باللوم على بعضهما البعض على ما يحصل، مما زاد من منسوب الشكوك حول وقف إطلاق النار رغم أن طالبان تشعر أنها في موقف قوة وتريد استغلال الفرصة على أكمل وجه.

وتعكس تصريحات المسؤولين ذلك الموقف في الواقع فقد قال توريك فرهادي، مستشار الحكومة الأفغانية السابق، إن الحكومة وطالبان "أقليتان متحاربتان، والشعب الأفغاني محاصر بينهما. تقول إحداهما إنها تمثل الجمهورية، والأخرى تقول إننا نريد إنهاء الاحتلال الأجنبي والفساد لكن الحرب تتعلق فقط بالسلطة".

وتبدو التوقعات لإحداث اختراق في جدار الأزمة ضئيلة، فالتغيير الذي سيحدث من جهة الولايات المتحدة هو أنه من المرجح أن تمدد الإدارة الأميركية الأيام الأولى من المحادثات حيث ينتظر الجانبان لمعرفة ما إذا كان الرئيس جو بايدن سوف يلتزم بالاتفاق الذي توسط فيه دونالد ترامب.

واقترحت كل من الحكومة وطالبان بنود أجندة المفاوضات، وفي هذه الجولة، سيقرر الجانبان العناصر التي يمكن دمجها وكذلك كيفية مناقشة البنود المنفصلة.

ويرى نادر نادري عضو فريق التفاوض الحكومي أن أول الفرص هي أن العديد من بنود أجندة المفاوضات متشابهة، وسيكون من السهل إحراز تقدم فيها لكنه حذر من أن تصاعد العنف سيزيد الضغط الشعبي على مفاوضي الحكومة مما قد يعرقل المحادثات.

وربما تكون اتفاقية تقاسم السلطة من أصعب البنود، فهناك القليل من الأدلة على أن حكومة كابول ستكون على استعداد لتقاسم السلطة أو أن طالبان ستكون مرنة بشأن من ستقبله في الإدارة الانتقالية.

وتريد الحكومة أن يكون وقف إطلاق النار على رأس أجندة المفاوضات، بينما تريد طالبان مناقشة تقاسم السلطة مع بعض الالتزام بالشكل الذي قد تبدو عليه أفغانستان بعد الحرب. ثم هناك مسألة كيفية نزع سلاح طالبان والميليشيات الموالية لأمراء الحرب، بعضهم متحالف مع الحكومة، والبعض الآخر في المعارضة.

وتصاعد العنف جعل جميع الأطراف توجه أصابع الاتهام لبعضها البعض. زتلقي الحكومة باللوم على طالبان في سلسلة من عمليات القتل المستهدف ضد النشطاء والصحافيين والقضاة والمحامين. ونفت طالبان بعض الهجمات، واتهم المتحدث باسم طالبان ذبيح الله مجاهد الاثنين الولايات المتحدة بضرب معاقل طالبان التي ليس لها أهمية عسكرية.

وقد أظهر مقطع فيديو ثلاثة رجال ملتحين يحملون علم طالبان ويقولون إن طالبان، وليس تنظيم داعش، نفذوا هجوماً على جامعة كابول في ديسمبر الماضي أسفر عن مقتل 25 طالباً ومعلماً. ونفت الحركة هذا الهجوم. وقد اتهم بعض المحللين الحكومة بإدانة طالبان بذلك المقطع ولكن أعلن داعش مسؤوليته عن الهجوم وصعد أيضا من هجماته في كابول في الأشهر الأخيرة، واستهدف في كثير من الأحيان المتعلمين والأقلية الشيعية.

ولدى فرهادي قناعة بأن أي عدد من اللاعبين يمكن أن يدمر عملية السلام. فمتشددو طالبان الذين يريدون فشل المحادثات؛ وأمراء الحرب الذين يريدون الاحتفاظ بأسلحتهم؛ إضافة إلى المسؤولين الفاسدين الذين يريدون حماية ثرواتهم والمسؤولين الحكوميين المتشبثين بالحكم، جميعهم يكرهون تقاسم السلطة.

وكشف أحد مسؤولي طالبان، الذي تحدث لوكالة أسوشيتد برس شريطة عدم الكشف عن هويته، أن قيادة طالبان كانت متشككة في أن الحكومة الأفغانية تريد السلام، وأنها تفضل الوضع الراهن والبقاء في السلطة. وقال إن "وقف إطلاق النار يمكن التوصل إليه بسهولة بمجرد أن يقتنع قادتنا بصدق الطرف الآخر".

ويمارس جيران أفغانستان نفوذهم. وكان مبعوث واشنطن، زلماي خليل زاده، في باكستان الاثنين الماضي، وبينما لم يتم الكشف عن تفاصيل زيارته، يبدو أنه من المحتمل أنه هناك لطلب مساعدة باكستان لإقناع طالبان بعقد اتفاق للحد من العنف. وذكرت وزارة الخارجية الأميركية أن خليل زاده كان في كابول الثلاثاء ومن المقرر أن يسافر في وقت لاحق إلى الدوحة.